باب الرحيل والأسفار

رحلة القسطنطينية

٣

حال الآستانة العمرانية والاجتماعية

موقع هذه المدينة مشهور في جماله ومحاسنه الطبيعية ولو كانت هذه الدولة التي استولت عليها من عدة قرون دولة عمران ومدنية لجعلتها زينة الارض ومثابة الامم ، ولكن لأهلها من السائحين مورد من أغزر موارد الثروة ، ولكنك لا تجد فيها أثرا من آثار العمران القديم للسلاطين السابقين الذين دوّخوا الدول الا المساجد ، ولا شيئا يعتد به من آثار العمران الحديث الا المعسكرات من الثكنات والمدارس ، فصوفية عاصمة البلغار وأثينا عاصمة اليونان والقاهرة عاصمة مصر ، كل اولئك أرقى من عاصمة الدولة عمرانا ، فالآستانة موقع جميل ، ومعسكر كبير ، لا تغيب الجنود عن عينيك فيها دقيقة من الزمان ، فعسى الله ان يسخر لها الرجال الذين يعمرونها بعمران المملكة ، لا بالاستقراض من الاجانب بالربا الذي يجعلها تحت سيطرتهم ، وعرضة عند الحوادث لمداخلتهم ،

أما العمران المعنوي وهو العلم والادب فلما حظ منه تفضل به مصر وسورية وهو ان التعليم فيهما أعم وأشمل ، وتربية النساء اسمى وأنبل ، ذلك بان أموال المملكة كانت تجبى اليها حتى لا يبقى في كل ولاية الا الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه مع إباحة الرشوة والسلب والنهب فكثرت فيها المدارس للذكور والإناث ، على أن

الآداب الاسلامية الموروثة لا تزال أقوى في بيوت هذه المدينة منها في بيوت مصر فلا ترى امرأة في نافذة ولا على سطح الا أن تكون مستورة البدن والرأس كما تكون في السوق ، ولا تسمع من البيوت ولا في الاسواق والشوارع صخبا ولا هجرا من القول كما تسمع في أسواق القاهرة وشوارعها ، ولا يتبرج فيها النساء كما يتبرجن بمصر الا في بعض المواسم كأصال أيام رمضان في جهة الشاه زاده ، والا في بعض الضواحي حيث يسرحن ويمرحن متنزهات مظهرات لزينتهن ، على أن الكثيرات منهن يسفرن عن وجوههن في الاسواق والشوارع ولكنهن مع ذلك يغضضن من أبصارهن كما أمر الله تعالى . واذا خرجن في القليل من دار الى دار يخرجن بالجبة او العباءة العربية المعروفة وبالقناع الأبيض وذلك يكون زيهن الغالب في المتنزهات . فجملة القول ان آدابهن حسنة في خروجهن الى حاجهن في الاسواق والشوارع و بيوتهن نظيفة مرتبة ولأولادهن حظ عظيم من النظافة والآداب . ويقول المختبرون من أهل البلد ومن الغرباء المقيمين فيه ان آداب غير المتعلمات أو المتعلمات على الطريقة القديمة منهن أعلى أخلاقا وأقوى عفة وابعد عن الريبة من المتعلمات على الطريقة الحديثة الافرنجية وهن أشد عناية بالنظافة أيضا فالتفرنج في البيوت هو الخطر الاكبر الذي ينذر البيوت الاسلامية بالفساد ، في هذا البلد وغيره من البلاد ، ويقال ان احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين يريد أن يربي بنات المسلمين في المدرسة التي يسعى في انشائها مع بنات الافرنج والروم والأرمن تربية ليس لها من صبغة الدين شيء !! فاذا تم هذا المقصد فبشر بيوت هذا البلد بالخراب المعنوي والفساد الذي لا يفوقه فساد

ان علم النساء المسلمات في الآستانة دون علم الأوربيات ولكن تربيتهن الدينية والادبية أعلى من تربية الأوربيات كما شهد بذلك غير واحدة من هؤلاء بعد الاختبار التام ومنهن من صرحت بأن التفرنج آفة مفسدة لنساء الترك . نعم انه يمكن ان تترقى معارفهن وآدابهن ولكن يجب أن يكون الدين هو أساس التربية وان تكون العناية به فوق العناية بالعلم وليس في أوربا شعب يربي البنات على الالحاد أو ترك الدين ، وان اثبت الشعوب الاوربية مدنية هو أشدها عناية بتربية النساء والاطفال تربية دينية

ان بين استانبول وقسم غلطه وبك أوغلي تباينا عظيما في العادات ونظام المعيشة وحالة العمران على ان المسافة بينهما تقطع بدقيقتين اذ الفاصل بينهما هو الخليج المشهور وعليه جسران للمشاة والركبان ومنهم من يقطعه بالزوارق : تشبه استانبول في عاداتها بلاد المشرق الاسلامية القديمة كطرابلس الشام فأزياء النساء فيها كأزياء النساء في مدن سورية الا ما امتزن به وقد ذكرناه آنفا وأزياء الرجال فيها كأزياء الرجال في مدن سورية: الطربوش والعمامة البيضاء والعمامة المطرزة والعمامة الخضراء والمناديل الملونة ـ كل ذلك من أزياء الروس وكله كثير وأما سكان قسم غلطه فتكثر فيه مزاحمة الكرد والقلانس للطرابيش المجردة ويقل فيه غير ذلك

يتعشى أهل استانبول بعيد المغرب كأهل سورية وتقفل أكثر المطاعم بعد العشاء بقليل على حين يتدىء أهل القسم الآخر بالطعام وتظل مطاعمهم مفتوحة الى قرب منتصف الليل ويسهرون كثيرا ولا يسهر اولئك الا قليلا . ويكثر الفسق العلني والسري في قسم غلطه والفسق العلني ممنوع في استانبول

وآداب الرجال العمومية حسنة كآداب النساء فلا تكاد تنكر على رفيع ولا وضيع قولا خشنا ولا كبرا وترفعا ولكنك كثيرا ماتنكر عليهم إخلاف الوعد وما في معنى الاخلاف حتى يقل ان يثق المختبر بقول يسمعه وسبب ذلك تأثير الاستبداد الشديد ، وما كان من الضغط والمراقبة على عهد عبد الحميد ، فذلك هو السبب الطبيعي لفشو الكذب والاخلاف والتقلب في كل الأمم ، ولهذه العلة كثر الكذب والاخلاف والتقلب وعدم الثبات في جميع البلاد العثمانية كما كثر ذلك من قبل في في مصر ولا سيما على عهد اسماعيل باشا

ثم كتبت في المنار وقلت في بعض الخطب التي ألقيتها في العام الماضي بالبلاد السورية ان أرقى البلاد العثمانية الآستانة وما يقرب منها من ولايات الروملي وأوسطها سورية وادناها العراق والحجاز واليمن . وقد تبين لي أن هذا القول خطأ فالآستانة لا تفوق سورية الا بكثرة عدد المتعلمين من الرجال والنساء وبالآداب الاجتماعية كما تقدم فهي ليست أرقى في العمران الحديث من بيروت ولا في العمران القديم من دمشق . وليس النابغون من أهلها كالنابغين من سورية في العلوم الاسلامية

ولا في الفنون والعلوم الادبية ولا في الاديبات ولا في التجارة والزراعة . ولا أهل الادارة والقضاء منهم أرقى ممن تسنى لهم ان يشتغلوا بهما من السوريين بمصر ، وكذا في بلاد الدولة على قلتهم وليس الضباط المتعلمون في المدرسة الحربية من أهل الآستانة بأرقى في الفنون الحربية من الضباط السوريين ولا العراقيين الأنهم اكثر . وأما ولايات الروملي وكذا الاناطول فهي دون الولايات السورية في الجملة

وأما النسبة بين الآستانة ومصر فهي أن عامة أهل الآستانة أرقى من عامة أهل القاهرة وخاصة أهل القاهرة النابغين أرقى من خاصة أهل الآستانة النابغين الا في الجندية . وأما من جهة الثروة والعمران فمصر أغزر ثروة وأرقى عمرانا ، وقد تقدمت النسبة بين البلدين في النساء وتربية الاولاد

هذا ما تبين لي في هذه الشهور فصصته على فوره ، غير متحرف الى جهة ، ولا متحيز الى فئة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتشار الاسلام في افريقية

نشرت جريدة الديلي كرونيل مقالا للدكتور كارل كوم الذي قام بسياحات كثيرة في افريقية واحدثها سياحته فيما بين نهر النيجر والنيل قالت (*) :

ان الدكتور كارل كوم يرى ان افريقية ستكون في يوم قريب قارة اسلامية محضة ماعدا بعض الجهات التي ينتسب أهلها الى المسيحية اسما كجنوب افريقية وأوغنده والحبشة ولقد حالت طبيعة البلاد في أواسط افريقية دون ان يكتسحها سيل الاسلام الجارف في طريقه عدة قرون فلما وطئها أقدام الاوربيين وانتهت تلك المنازعات القديمة بينهم على الحدود وانفسح المجال أمام التجار المسلمين أخذوا ينشرون نفوذهم ويوسعون دائرة سلطتهم فتوغلوا في الغرب والشرق والجنوب حتى انتشر الاسلام بين أهالي هذه الجهات بسرعة غريبة ومدهشة بنتيجة مساعي الاوربيين أنفسهم

(*) ترجمت الجرائد اليومية هذا المقال بالعربية ومنها اخذنا مع تصحيح قليل

الذين ذللوا تلك العقبات باكتشافاتهم الجغرافية وبتقويم شؤون البلاد وتحسين وسائل الثروة بها وأحوالها الاقتصادية

وقد شعر بحرج هذا المركز الصعب وكلاء فرنسا وبريطانيا وأخذت هذه المسألة تنعقد أمامهم فلا يعرفون لهم منها مخرجا بعد أن تغلب الاسلام على الجنوب

وبعد ان طعن الدكتور كوم تعصبا وتحاملاً على تعاليم الاسلام زاعما بأنها تقضي بذور التعصب في قلوب المتدينين به استنتج انه يجب على كل مسلم مقاتلة الكفار الى ان يأسرهم أو يقتلهم وقال انه لا توجد ذريعة أنجع من ادخال القبائل الوثنية في الدين المسيحي لتكون حصنا متينا للدفاع ! !

ثم قال: ولا يوجد الآن غير طريقين لتجارة الرقيق اولهما في السودان الغربي الى مكة مارا بالسودان المصري وقد حاولت القوة الفرنسية في بحيرة تشاد بقيادة الكولونل مول أن تقطع هذا الطريق حتى تمكنت من ذلك ولكن الطريق الثاني لا يزال مفتوحا ويمر بفنغازي ولا يمكن إغلاقه الا اذا استولت بريطانيا العظمى على دارفور (؟)

وقد نشرت مجلة المستر فول مقالة وجهت فيها انظار ولاة الامور الانكليز لوجود ثلاثة عشر الف شاب مسلم على بعد خمسة أيام من مقر الانجليز قد اجمعوا امرهم على ان يجعلوا انحاء البلاد الافريقية للدعوة الى الاسلام

ولاحظت ان الوثنيين يقبلون الدين الاسلامي بسهولة ورغبة ومن انتحل منهم المسيحية لا يلبث الا قليلا ثم يعلن اسلامه مثل رفاقه واستنتجت على دعواها بسهولة مبادىء الدين الاسلامي بزيادة المسلمين المضطردة في الهند فقد بلغ عدد الذين يعتنقون الاسلام من أهلها نحو عشرة آلاف شخص في كل سنة وكذلك الحال في الصين حيث ينمي عدد المسلمين كل يوم بنسبة ظاهرة تدعو لمزيد الدهشة والاهتمام

الاسلام في الهند

جاء في مجلة العالم الاسلامي الفرنسية مقال عن الاسلام في الهند احببنا ترجمته لما فيه من الحقائق التي يجهلها اخواننا المسلمون قال الكاتب (*) :

انتشر الاسلام في الهند سنة ١٠٠١ ميلادية وقد ازداد عدد أتباعه حينما تقلصت سلطة الاسلام في تلك الديار وامتدت سلطة الاحتلال الانكليزي خلافا للمأمول وهو يمتد اليوم على صورة مدهشة فقد كان عدد اهله في الهند سنة ١٨٩٧ واحدا وستين مليونا ونصف مليون فأصبح عددهم سنة ١٩٠١ ثلاثة وستين مليونا منهم ٩٧ في المئة من أهل السنة وإليك تفصيل العدد

٥٤ مليونا في الولايات الهندية الشرقية الانكليزية كبمباي ومدراس

٨ ملايين ونصف في الولايات التابعة كحيدرأباد

٢٧٠ الفا في المستعمرات الانكليزية كسيلان

٧٣٠ الفا في البلاد التي لم تدخل تحت الاحصاء كولايات أوريسا

وقد يوجد من المسلمين في المقاطعات الفرنسية الهندية ٢٠ الفا وفي المستعمرات البرتغالية ٨ آلاف ونصف الف وفي المستعمرات الالمانية ١٠ آلاف من الهنود والفرس والعرب والافريقيين

اما عدد المسلمين في الولايات المستقلة فاليك بيانه : في ولاية نابل ثلاثة ملايين ونصف مليون، وفي ولاية بوتان اربع مئة، وفي ولاية أفغانستان ٦ ملايين

وأما بحسب المذاهب فعدد المسلمين في الهند ينقسم الى اهل سنة وشيعة فأهل السنة ٦٦ مليونا و٢٢٢ الفا و٥٠٧، والشيعة مليونان و٥٧٧ الفا و٤٢٩ والمجموع ٦٨,٧٩٩,٩٣٦

فاذا اعتبرنا زيادة مليونين في الولايات الهندية الانكليزية فيكون عدد المسلمين في الهند سبعين مليونا

أما حركة هذه الملايين الاجتماعية والسياسية فقد كانت بطيئة الا انها ابتدأت تؤثر في الدولة الانكليزية فلا تمضي مدة الا ويحدث حادث لهذه الدولة من هذه

(*) ترجمته بالعربية جريدة المفيد البيروتية وعنها نقلنا

الجوع ولو كان المسلمون متحدين الاتحاد المطلوب لما أقام الانكليز ساعة في تلك البقاع على ان التكافل بينهم قد بدا طلعه فاتحد فريق كبير منهم وبدأوا باعداد القوة وسيجتازون عما قريب كل عقبة وصعوبة وقد ظهر للناس اخيرا انهم يميلون ونحن الى الدولة العثمانية

فلسوف يقوى الاسلام في الهند ويمتد بواسطة العلم الذي ينتشر بينهم بسرعة ولا غرو فان هذا الدين من مطالبه العلم وسوف يسود على كل تلك الديار على أن الانكليز هم الذين علموهم لغتهم فتسلحوا بها واصبحوا يطالبون بحقوق الانسان الحرة ويقاضون من الانكليز مراكزهم الاجتماعية ومناصبهم السياسية

﴿ صدى العلم من الحجاز ﴾

جاءتنا كراسة بهذا الاسم فيها تفصيل عن حفلة توزيع الجوائز على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسيس العلامة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب اظهار الحق » وهي مفتتحة بخطاب من مدير تلك المدرسة موجه الى كل قارئ يستفز به الهمم ويحدو العزائم الى مساعدة هذه المدرسة الفذة في نوعها المفيدة في الجملة بالتبرعات المالية لان قيامها بها وهي لاتزال قائمة بتبرعات الهنود الاسخياء الذين عرفوا قوة التعاون والتكافل اكثر من غيرهم من مسلمي الارض وانه ليجدر بمسلمي هذه البلاد ان يحدوا اليها يد السخاء وما نرى أنهم يرضون — كما رضيت دولتهم — بأن يكون الجهل ضاربا اطنابه في مكة المكرمة ذلك البلد الحرام الذي كان ينبوع سعادتهم ومهبط العلم والحكمة من قبل

ألا وانه ليحزننا ان تبقى البلاد التي نزل بها الوحي وانبثق منها نور الاسلام الذي قلب كيان العالم وقتل الوثنية وفتح روح العلم واشرع سبيل استقلال الفكر — انه ليحزننا ان تبقى متمسكة في ديباجير الجهل موثقة بأغلال التقاليد فلا عناية من دولتنا الدستورية التي يفتخر سلطانها بلقب «خادم الحرمين» بتلك البلاد ببعض عنايتها ببلد من بلاد الرومللي ! ؟ على انه قد آن للمسلمين وقد مضى زمن التفكير ان يبدأوا على العمل وعلى الله قصد السبيل